الباب الثالث

في معرفة طبقات الأنساب، وما يلتحق بذلك

اعلم أن العرب، كلها ترجع إلى أصلين عدنان وقحطان، وكان الملك في الجاهلية لقحطان حتى نقله الإسلام إلى عدنان، ولكل واحد منهم فروع اتَّفقت العرب فيما نقل إلينا على أن جعلتها ست طبقات وكذلك عدَّها أهل اللغة.

الطبقة الأولى: الشَّعب -بفتح الشين- وهو النسب الأبعد كعدنان مثلًا.

قال الجوهري: وهو أبو القبائل الذي ينسبون إليه، ويجمع على شعوب.

قال الماوردي في الأحكام السلطانية: وسمِّي شعبًا؛ لأن القبائل تتشعب منه. وذكر الزمخشري في كشافه نحوه.

الطبقة الثانية: القبيلة، وهي ما انقسم فيه الشعب، كربيعة ومضر.

قال الماوردي: وسميت قبيلة؛ لتقابل الأنساب فيها، وتجتمع القبيلة على قبائل وربما سميت القبائل جماجمَ أيضًا، كما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال: جماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون.

الطبقة الثالثة: العمارة -بكسر العين- وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة، وتجمع على عمارات وعمايِر.

الطبقة الرابعة: البطن، وهي ما انقسم فيه أنساب العمارة كبني عبد مناف وبني مخزوم، ويجمع على بطون وأبطن.

الطبقة الخامسة: الفخذ، وهو ما انقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أمية، ويجمع على أفخاذ.

الطبقة السادسة: الفصيلة -بالصاد المهملة-: وما انقسم فيه أنساب الفخذ كبني العباس وبني عبد المطلب.

هكذا رتَّبها الماوردي -رحمه الله- في الأحكام السلطانية، وعلى نحو ذلك جرى الزمخشري في تفسيره في الكلام على قوله تعالى: {وجعلناكم شعوبًا وقبائل} إلا أنه مثَّل للشعب بخزيمة، وللقبيلة بكنانة، وللعمارة بقريش، وللبطن بقصي، وللفخذ بهاشم، وللفصيلة بالعباس.

وبالجملة فالفخذ يجمع القبائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمائر، والشعب يجمع القبائل، وإنما يعلو بعضها على بعض بشرطين: قدم المولد، وكثرة الولد، وليس دون الفصيلة إلا الرجل وولده.

قال النووي في تحرير التنبيه: وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة، قال الجوهري: وعشيرة الرجل رهطه الأدنون، وحكى أبو عبيد عن ابن الكلبي عن أبيه تقديم الشعب ثم القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمارة ثم الفخذ فأقام الفصيلة مقام العمارة في ذكرها بعد القبيلة، والعمارة مقام الفصيلة في ذكرها قبل الفخذ ولم يذكر ما يخالفه، ولا يخفى أن الترتيب الأول أولى، وكأنهم رتبوا ذلك على بنية الإنسان؛ فجعلوا الشعب منها بمثابة أعلى الرأس، والقبائل بمثابة قبائل الرأس وهي القطع المشعبو بضعها على بعض يصل بها الشئون وهي القنوات التي في القحف لجريان الدمع.

وقد ذكر الجوهري أن قبائل العرب إنما سُميت بقبائل الرأس وجعلوا العمارة تلو ذلك إقامة للشعب والقبيلة مقام الأساس من البناء، وبعد الأساس تكون العمارة، وهي بمثابة العنق والصدر من الإنسان، وجعلوا البطن تلو العمارة؛ لأنها الموجود من البدن بعد العنق والصدر، وجعلوا الفخد تلو البطن؛ لأن الفخذ من الإنسان بعد البطن، وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ؛ لأنها النسب الأدنى الذي يفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم، إذ المراد بالفصيلة العشيرة الأدنون بدليل

قوله تعالى: {وفصيلته التي تؤويه}، أي: تضمه إليها ولا يضم الرجل إليه إلا الأقرب عشيرته.

واعلم أن أكثر ما يدور على الألسنة من الطبقات الست المتقدمة، القبيلة، ثم البطن، وقَلَّ إن تذكر العمارة والفخذ والفصيلة، وربما عبَّر عن كل واحد من الطبقات الست بالحي، أما على العموم مثل أن يقال: حي من العرب، وأما على الخصوص مثل أن يقال: حي من بني فلان، ولهذا اقتصرنا في التعبير في الإنسان الآتية بهذه الثلاثة.

obeikandl.com